

زدناهم - وربطنا» كل ذلك يربطها برباط القيام في كلمة التوحيد: ﴿رَبُّنَا رَبُّ
السَّمَوَاتِ...﴾ ﴿لَنْ نَدْعُوا مِنْ دُونِهِ إِلَهًا﴾ ثم تزييف الشرك في ربوبيته ﴿لَقَدْ
قُلْنَا إِذَا شَطَطًا﴾!

١ - ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ﴾: الفتى هو الطري من الشباب وقد يطلق على كل
طري شاباً أم غير شاب، وكما يروى أن أصحاب الكهف كانوا كهولاً^(١)،
ولفتوتهم في طراوة حريتهم ورجولتهم سموا فتية، وإلا لماذا ﴿فِتْيَةٌ﴾ لا
أناس أم رجال؟ ثم ولا أثر هنا عن مشاغلهم ومناصبهم^(٢). إلا أنهم فتية
الإيمان والقيام.

٢ - ﴿ءَامَنُوا بِرَبِّهِمْ﴾ في قلوبهم بصرامة وصراحة.

٣ - ﴿وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾ كما هي سنة الله: ﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا
هُدًى﴾.

٤ - ﴿وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ رباطاً يحجزهم عن الشتات، تثبيتاً لأقدامهم في
هذا القيام والإقدام ﴿وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾^(٣) مزيداً للإيمان:
﴿إِنْ كَادَتْ لَتُبْدَى بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٤).

(١) نور الثقلين (٣: ٣٤٥ ح ٢٥) في روضة الكافي علي بن إبراهيم عليه السلام قال: قال: أبو
عبد الله عليه السلام لرجل: ما الفتى عندكم؟ فقال: الشاب، فقال: لا الفتى المؤمن، إن أصحاب
الكهف كانوا شيوخاً فسماهم الله عليه السلام فتية بإيمانهم.

وفي الدر المنثور أخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أصحاب الكهف
أعوان المهدي عليه السلام وفي البرهان عن ابن الفارس قال الصادق عليه السلام وسبعة من الكهف
يعدهم من أصحاب المهدي عليه السلام.

(٢) في بعض الروايات إن الفتية كانوا من أولاد الملوك، وفي أخرى من أولاد الأشراف وفي
ثالثة: من أولاد العلماء وفي رابعة أنهم كانوا حماميين يعملون في بعض حمامات المدينة
وفي خامسة أنهم كانوا من وزراء الملك يستشيرهم في أموره وفي سادسة أنهم سبعة سابعهم
كان راعي غنم لحق بهم هو وكلبه في الطريق.

(٣) سورة الأنفال، الآية: ١١.

(٤) سورة القصص، الآية: ١٠.

فالربط هو الشد بالرباط كربط الأسير: شده بالحبل والقِدِّ، ف «ربطنا» هنا يعني شددنا على قلوبهم كما تُشد الأوعية بالأوكية فتتضم على مكوناتها، ويؤمّن التبدُّد على ما استودع فيها، شددنا عليها لكيلا تنحل معاقد اصطبارها وتهفو عزائم جلدها، ولماذا ﴿رَبَطْنَا عَلَيَّ﴾ وهي متعدية بنفسها؟ لأن ربط القلوب وهو رفع التمزق والتقلب في معترك الأحوال، لا يكفي استقامة ناصعة، فليربط على قلوبهم سكينه من ربهم بعد ربطها، ولكي يقوموا في معركتهم الصاخبة ضد الطاغوت ومتطلباته، لا فحسب أن يظلوا على عقيدة التوحيد قاعدين فيها دون قائمين . .

فكما سألوا الله ﴿إِنَّا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةٌ﴾ تعني رحمة خاصة بعد رحمتي الهدى وزيادتها، فالله ربط على قلوبهم بهذه الرحمة اللدنية ولكي يقوموا:

﴿إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلهًا لَقَدْ قُلْنَا

إِذَا شَطَطًا﴾:

أقياماً في قوله جوفاء؟ ولا تحتاج هكذا قوله إلى ربط على قلوبهم وإلى قيام والله منها براء! بل قياماً في العمق في قوله صادقة عن قلب مربوط بالايمن في توحيد الله لحد يُحيل الإشراك بالله: ﴿لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلهًا﴾ ولا في لفظة قول ﴿لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا﴾: مفرطاً في البعد عن الحق^(١) أfbعد الإيمان ومزيده وبعد أن ربط الله على قلوبنا نفرط في ذلك البعد السحيق من اللإيمان؟ كلاً ولن . . .

ولأن قول ﴿رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ . . .﴾ ومعه قمة الإيمان لا يحتاج إلى قيام، فليكن قولاً جاهراً بين جماهير الناكرين، في ظرف تذوب فيه القلوب وتتفتت فيه الأكباد وترتاع له النفوس وتتشعر الجلود إذاً فهو قيام في بعدي

(١) في تفسير القمي في رواية أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا﴾ [الكهف: ١٤] يعني جوراً على الله أن قلنا له شريك.

الإيمان إعلاناً بعد إسرار بكل صمود وإصرار، يحيل الارتجاع إلى الشرك: ﴿لَنْ نَدْعُو مِنْ دُونِهِ...﴾ قاطعين آمال المشركين، منقطعين عن كل عمل إلا لله وعن كل أمل إلا في الله! وقد تلمح ﴿لَنْ﴾ إن هناك كانت عليهم ضغوط تحملهم على الإشراف بربهم!

ولكن ذلك توحيد قائم متجاهرٌ باهرٌ لا يقصمه أي جابر ولا يفصمه أي مكابر، وما يروى في إسرار إيمانهم بتقية في ظاهر الشرك مؤول^(١) أو مطروح إذ لا توافق الكتاب، أم وتخالفه.

﴿هُؤُلَاءِ قَوْمًا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ ﴿١٥﴾

﴿هُؤُلَاءِ﴾ المناكيد الأوغاد ﴿قَوْمًا﴾ الذين نعاشرهم ﴿اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ﴾ دون رب السماوات والأرض ﴿ءَالِهَةً﴾: طواغيت وسواهم من ملائكة أو جن أو إنسان ﴿لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ﴾؟ قضية القاعدة العقلية إن كل دعوى بحاجة ضرورية إلى برهان عليها وسلطان يقنع العقول

(١) نور الثقلين ٣: ٢٤٢ ح ١٧ في أصول الكافي علي بن إبراهيم عن أبيه عن ابن أبي عمير عن هشام بن سالم عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن مثل أبي طالب مثل أصحاب الكهف أسروا الإيمان وأظهروا الشرك فأتاهم الله أجرهم مرتين.

أقول: علّه ينظر إلى الحالة قبل قيامهم وإظهارهم، وقوله تعالى: ﴿إِذْ قَامُوا...﴾ [الكهف: ١٤] يلمح إلى حالتهم قبل قيامهم وبعده وهم فيها كانوا موحدين، وقد يدل عليه ما رواه العياشي عن عبيد الله بن يحيى عن أبي عبد الله عليه السلام أنه ذكر أصحاب الكهف فقال: لو كلفكم قومكم ما كلفهم قومهم؟ فقيل له: وما كلفهم قومهم؟ فقال: كلفهم الشرك بالله العظيم فأظهروا لهم الشرك وأسروا الإيمان حتى جاءهم الفرج - وقد يعني من فرجهم قيامهم بتوحيدهم جهاداً. وفي بعض الروايات أنهم أظهروا المخالفة وعلم بها الملك قبل الخروج، رغم البعض الآخر أنه لم يعلم إلا بعد خروجهم، وفي ثالث أنهم تواطؤوا على الخروج فخرجوا وفي رابع أنهم خرجوا على غير تعارف وعلى غير ميعاد ثم تعارفوا وأنفقوا خارج البلد، وفي خامس أن راعي غنم لحق بهم وهو سابعهم وفي بعضها أنه لم يتبعهم وتبعهم كلبه وسار معهم.

غير المدخولة أياً كان، وكلما ازداد المدعي محتداً ومكانة يزداد السلطان عليه بياناً وبرهاناً، فدعوى الألوهية بحاجة إلى «سلطان بين» وليس عندهم أي سلطان على آلهتهم فضلاً عن ﴿بَيْنٍ﴾ وكفاهم كذباً وظلماً على الحق ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا؟﴾

إن قيامهم في مقالة التثبيت للتوحيد والتنديد الشديد بكل جبار عنيد، كل ذلك كان جهاراً وبين الجماهير قبل انعزالهم عنهم، فقررروا بينهم قرارهم لئلا بعد انعزالهم:

﴿وَإِذْ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يُعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأَوْأَىٰ إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مَرْفَقًا﴾ (١٦):

هنالك اعتزال عنهم وما يعبدون حيث لا تنفع دعوتهم إلا ملاحقتهم والضغط عليهم، فاعتزال الاختفاء احتفاظاً على أنفسهم ثم أويأى إلى الكهف ﴿يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾ رحمته اللدنية التي التمسوها منه، وهل رحمة مطوية تُنشر ومكنونة تظهر، والرب لا يكنُّ ويطوي رحمته عن ياهل، وإنما إسباغها ظاهرة منشورة لا مستورة، إذا فنشرها هو إيتاؤها كما تطلبوها ﴿إِنَّا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةٌ﴾ ثم ﴿وَيَهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مَرْفَقًا﴾: ما يُرتفق به ويُعتمد عليه فيكون لظهوركم عماداً ولأعضادكم سناداً.

أجل وإن الكهف الضيق الخشن المظلم لهؤلاء الفتية هو منتشر الرحمة ومرتفق النعمة، إذ يأوون إليه ويلجأون بإيمانهم، ولكنما البلد وهم بين أهليهم في بحبوحة من عيشة الحياة الدنيا، هو لهم نقمة ومصيبة إذ ليس لهم فيه راحة الروح والرضوان وفسحة الإيمان! فإذا الكهف الضيق البعيد عن الحياة لهم فيه فسحة وحيوية تتسع خيوطها وتمتد ظلالها ويشملهم بالرفق واللين والرخاء، حيث الحدود الضيقة تنزاح والجدران الصلدة ترقق والوحشة الموغلة تشف.

ذلك الكهف الحصين أملهم كما يوسف الصديق يفر من البلاط إلى السجن: ﴿رَبِّ السِّجْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْنَّ وَأَكُنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ (١).

هنا في قصة الآوين إلى الكهف روايات، تقول طائفة منها إنهم كانوا ثلاثة هم أصحاب الرقيم، وهي لا تلائم القرآن إلا أن يكونوا هم من أصحاب الكهف وقد رقموا خالصات أعمالهم نجاةً من الحجر المؤصد عليهم من كهفهم، ثم لحقهم الآخرون بعدما نجوا، فكلهم أصحاب الكهف والأولون يزيدهم أنهم أصحاب الرقيم، وقد يعمهم الرقيم بعد اختصاصه في وجوه مضت أمّا ذا؟ (٢).

وفعالاً نشر لهم ربهم في فجوة الكهف من رحمته اللدنية وهياً لهم من أمرهم مرفقاً، حيث آمنهم في كهفهم وضرب على آذانهم بكل تلطف وتعطف، ثم بعثهم ليعرفوا رحمته ويلمسوا مرفقه، وليعلم آخرون ﴿أَتَى وَعَدَ اللَّهُ حَقُّهُ﴾ رحمة ومرفق يتخطاهم إلى أعماق الزمان والمكان، طياً لبعديهما، وهدياً بقصتهم في إذاعات كتابات السماء والقرآن العظيم.

لا يهمننا أين كهفهم وأيان؟ وقد نتلمح ما لمحنا إياه القرآن:

﴿وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزْوُرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ

(١) سورة يوسف، الآية: ٣٣.

(٢) نور الثقلين ٣: ٢٤٦ ح ٢٨ في كتاب كمال الدين وتمام النعمة بإسناده إلى محمد بن إسماعيل القرشي عمن حدثه عن إسماعيل بن اعبل عن أبيه عن أبي رافع عن النبي ﷺ حديث طويل قال فيه بعد أن ذكر عيسى ثم يحيى بن زكريا ثم العزيز ثم دانيال ثم مكيخا ابن دانيال - وملوك زمانهم فعند ذلك ملك سابور بن هرمز اثنتين وسبعين سنة وهو أول من عقد التاج ولبسه وولى أمر الله ﷻ يومئذ وهو الشواء بن مكيخا وملك بعد أردشير أخو شابور سنتين وفي زمانه بعث الله الفتية أصحاب الكهف والرقيم وولى أمر الله في الأرض يومئذ دستجا بن لشوا بن مكيخا.

ذَاتِ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ يَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾ :

تعريفان اثنان بكهفهم ثانيهما ﴿وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ﴾ : فسحة من كهفهم ، وفسحة من طلوع الشمس وغروبها ، دون أن تؤذيهم بنورها ونارها ، وإنما تفيدهم بضوئها ، فجوة وفسحة دون تضايق لا بكهفهم ولا شمسهم ، رحمة ومرفقاً من أمرهم !

وأولهما ﴿إِذَا طَلَعَتِ تَرْوَرٌ . . . ﴾ ﴿وَإِذَا غَرَبَتِ تَقَرُّصٌ﴾ : وهنا نتلمح موقعهم من الكهف وموقع الكهف نفسه .

والتزاور أصله الميل من الزور : الصدر - لا الزيارة ، فترى الشمس تميل عن كهفهم كما يميل المتزاور عن الشيء بصدرة ووجهه؟ يبين بذلك عن موضع الكهف المشار إليه من جهات المشرق والمغرب أن الشمس لا يلحقه ثوبها عند شروقها ، ولا ينفض عليه عند غروبها حيث تجوزهم عادلة بمطرح شعاعها عنهم ، أو أنها تعطيهم القليل من شعاعها عند مرّها بهم ثم تسترجعه عند انصرافها عنهم ، تشبيهاً بقرض المال الذي يعطيه المعطي ليسترده ، ويقدمه ليرتجعه .

فلم يكن الكهف - إذاً - شرقياً ذات اليمين فتشرق في العمق ، ولا غربياً ذات الشمال فتغرب عن العمق ، وإنما طلوع تزاور ذات اليمين ميلاً عنه ، وغروب قرض لهم ذات الشمال ، إذاً فليكن له باب نصف شرقية وأخرى نصف غربية ، الشرقي الشمالي ، والغربي الجنوبي ، ولكي ينطبق على الجغرافية المستفادة من الآية . فلا تحرمهم الشمس ولا تحرقهم ، وإنما تشرقهم ، دون حدة المقابلة لا شرقية ولا غربية . وهذا ينطبق على الكهف الواقع قرب عمان الأردن^(١) .

(١) هو على ما في الميزان ١٥ : ٢٩٧ كهف رجب على مسافة ثمانية كيلو مترات من عمان الأردن =

أم كان شرقياً وغريباً حسب البابين، ولكنه لطوله وهم في فجوة منه تشرق فيه الشمس ذات اليمين ولا تصلهم، وتغرب عنهم الشمس قرصاً وقد مستهم بخفيف ضوئها ولطيفه، فينطبق على كهف آخر^(١).

= قرب قرية رجب، في جبل محفور على الصخرة في السفح الجنوبي منه وأطرافه من الجانبين الشرقي والغربي مفتوحة يقع عليه شعاع الشمس منها وباب الكهف يقابل جهة الجنوب وفي داخله صفة صغيرة قرابة ثلاثة أمتار في مترين ونصف متر على جانب من سطحه المعادل لثلاثة في ثلاثة تقريباً وفي الغار عدة قبور على هيئة النواويس البيزنطية كأنها ثمانية أو سبعة، وعلى جدرانه نقوش وخطوط باليوناني القديم والشمردى منمحية لا تقرأ وصورة كلب مصبوغة بالحمرة وزخارف وتزيينات أخرى.

فوق الغار آثار صومعة بيزنطية تدل النقود والآثار الأخرى المكتشفة فيها على كونها مبنية في زمان الملك جوستينوس الأول ٤١٨ - ٤٢٧ وآثار أخرى تدل على أن الصومعة بدلت ثانياً مسجداً بعد استيلاء المسلمين على الأرض، مشتتلاً على المحراب والمئذنة والميضأة، وفي الساحة المقابلة لباب الكهف آثار مسجد آخر بناه المسلمون في صدر الإسلام ثم عمروه وشيدوه مرة بعد أخرى، وهو مبني على أنقاض كنيسة بيزنطية كما أن المسجد الذي فوق الكهف كذلك.

وكان هذا الكهف بالرغم من الاهتمام بشأنه كما تدل آثاره متروكاً منسياً متهدماً حتى اهتمت دائرة الآثار الأردنية أخيراً^(١) بحفره وتنقيته فاكشفته فظهر بعد خفائه قروناً عدة، وهناك أمارات وشواهد أثرية على كونه هو كهف أصحاب الكهف:

يقول في اكتشاف الكهف إنه الكهف الذي ورد ذكره في الكتاب العزيز ويذكر انطباق الأمارات المذكورة فيه وسائر العلام التي وجدت هناك على هذا الكهف دون كهف افوس والذي في دمشق أو البتراء أو اسكاندنافيه واستقرب فيه أن الطاغية الذي هرب منه أصحاب الكهف فدخلوا الكهف هو «طراجان الملك ٩٨ - ١١٧ م لا دقيانوس الملك ٢٤٩ - ٢٥١ الذي ذكره المسيحيون وبعض المسلمين ولا دقيانوس الملك ٢٨٥ - ٣٠٥ الذي ذكره بعض آخر من المسلمين في رواياتهم واستدل عليه بأن الملك الصالح الذي بعث الله أصحاب الكهف في زمانه هو «ثودوسيوس» الملك ٤٠٨ - ٤٥٠ بإجماع مؤرخي المسيحيين والمسلمين وإذا طرحنا زمان الفترة الذي ذكره القرآن لنوم أصحاب الكهف وهي ٣٠٩ سنين من متوسط كلم هذا الملك الصالح وهو ٤٢١ بقي ١١٢ سنة وصادف زمان حكم طراجان =

(١) سنة ١٩٦٣ م المطابقة (١٣٤٢) وألف في ذلك متصدية الأثري الفاضل «رفيق وفا الدجاني» كتاباً سماه اكتشاف كهف أهل الكهف نشره سنة ١٩٦٤ - ١٣٤٣).

وأياً كان كهفهم فموضوع البحث هم أنفسهم إذ كانوا من آيات الله في قيامهم ولبثهم في كهفهم وتزاور الشمس عن كهفهم إذا طلعت وقرضهم إذا غربت وتقليبهم ذات اليمين وذات الشمال: ﴿ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ يَحْدِلَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا﴾ .

وترى من ذا تعني «تري»؟ أهو الرسول ﷺ ولم يطلع عليهم عياناً كما تلمح «لو»: في ﴿لَوْ أَطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ﴾! أم غيره؟ فأحرى ألا يطلع فيرى! أم هو بيان الحال إن كان هناك من يرى لرأى الشمس . . أو «تري» خطاب لمن يرى، تلميحاً أن هناك من سوف يكشف الكهف فيرى، أو أن الرسول رآه ولم يُطلع عليهم ولعله أحرى، إضافة إلى من يرى، مهما لن يروا ﴿أَيْكَاطًا وَهُمْ رُقُودٌ﴾ بعدما أعر عليهم فيما مضى، فإن رؤية الشمس تزاور تكفيها رؤية الكهف، وهي بسيطة للرسول ﷺ وهي غير رؤيتهم المستحالة ب «لو» فإنهم قضوا نحبتهم .

= الملك وقد أصدر طراجان في هذه السنة مرسوماً يقتضي أن كل عيسوي يرفض عبادة الآلهة يحاكم كخائن للدولة ويعرض للموت .

(١) وهناك كهوف أخرى مثل كهف بجبل قاسيون بالقرب من الصالحية بدمشق الشام ينسب إلى أصحاب الكهف وأنا زرتة وعله في الدرجة الثانية من احتمالات الكهف، وثالث بالبراء من بلاد فلسطين ينسب إلى أصحاب الكهف ورابع هو كهف أفسوس مدينة خربة أثرية واقعة في تركيا على مسافة ٧٢ كيلومتراً من بلدة أزمير والكهف على مسافة كيلومتر واحد من إفوس قرب قرية «اياصولوك» بسفح جبل «ينايرداغ» وهو كهف وسيع فيه - على ما يقال - مئات من القبور مبنية من الطوب وهو في سفح الجبل وبابه متجه نحو الجهة الشمالية الشرقية وليس عنده أثر من مسجد أو صومعة أو كنيسة، وهو الأعراف عند النصارى وورد ذكره في عدة روايات إسلامية، وخامس اكتشف - على ما قيل - في شبه جزيرة اسكاندنافيه من أوروبا الشمالية عثروا على سبع جثث غير بالية على هيئة الرومانيين يظن أنهم أصحاب الكهف .

وربما يذكر كهوف أخرى منسوبة إلى أصحاب الكهف كما يذكر أن بالقرب من بلدة نخجوان من بلاد قفقاز كهفاً يعتقد أهل تلك النواحي أنه كهف أصحاب الكهف وكان الناس يقصدونه ويوزرونه، والكهوف غير الرومانية من هذه الست تقطع أنها ليست لأصحاب الكهف لأن القصة رومانية ولم تبلغ سلطتهم في أيام مجدهم نواحي أوروبا الشمالية والقفقاز .

﴿وَتَحَسَّبَهُمْ أَيْكَاطًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقِلْتُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُم بَسِيطٌ ذِرَاعِيهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعَتْ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتُمْ مِنْهُمْ فِرَارًا وَكَلِمَاتٍ مِنْهُمْ رُعبًا ﴿١٨﴾﴾ :

﴿وَتَحَسَّبَهُمْ أَيْكَاطًا﴾ حيث العيون مفتحة لا غامضة، مهما كانت حالتهم غامضة، ﴿وَهُمْ رُقُودٌ﴾ حيث ضربنا ﴿عَلَىٰ آذَانِهِمْ﴾ ﴿وَنُقِلْتُمْ﴾ طول مكوثهم المديد ﴿ذَاتَ الْيَمِينِ﴾ من شمائلهم ﴿وَذَاتَ الشِّمَالِ﴾ من إيمانهم، ثقلباً دائماً جنباً إلى جنبه كيلا تأكلهم الأرض بطول المكوث، كيقظة أوتوماتيكية، و«كلبهم» طول هذه المدة ﴿بَسِيطٌ ذِرَاعِيهِ بِالْوَصِيدِ﴾: فناء الكهف وبابه، أحياناً يرصدهم؟ أم راقداً كأمثالهم؟ لا أثر عن رقدته في آياتها، فليكن يقظاناً يرقبهم وهو آية في هذه الآيات ^(١)!

حالتهم المنقطعة النظير بين موت وحياء ويقظة ورقدة تولي المظلم عليهم فراراً وتملاًه رعباً.

وترى ذلك الحسبان مستمر إلى زمن الرسول ﷺ ولحد الآن حيث ﴿وَتَحَسَّبَهُمْ أَيْكَاطًا وَهُمْ رُقُودٌ﴾ ^(٢) فهم حتى الآن وحتى متى! ولا ندرى! نائمون؟ ولماذا تلك النوم الطويلة بعد القومة عن الأولى ولا خبر عن هكذا نوم ليستدل بهم علي ﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا﴾ ^(٣)! أم إنه حكاية لحال ماضية؟ قد تلمح لها ﴿لَوِ اطَّلَعَتْ عَلَيْهِمْ﴾ حيث تُحيل ذلك الاطلاع، ولو

(١) نور الثقلين ٣: ٢٥١ ح ٣٦ - القمي حدثني أبي عن الحسين بن خالد عن أبي الحسن الرضا عليه السلام أنه قال: لا يدخل الجنة من البهائم إلا ثلاثة: حمارة بلعم وكلب أصحاب الكهف والذئب وكان سبب الذئب أنه بعث ملك ظالم رجلاً شرطياً ليحشر قوماً من المؤمنين ويعذبهم وكان للشرطي ابن يحبه فجاء ذئب فأكل ابنه فحزن الشرطي عليه فأدخل الله ذلك الذئب الجنة لما أحزن الشرطي.

(٢) في رواية القمي عن الإمام الصادق عليه السلام الماضية: «فأخبرهم صاحبهم أنهم كانوا نائمين هذا الزمن الطويل وأنهم آية للناس فبكوا وسألوا الله أن يعيدهم إلى مضاجعهم نائمين كما كانوا»..

(٣) سورة الحج، الآية: ٧.

كانوا في حالتهم إلى زمنه كان ﷺ أخرى من يطلع عليهم، وإلا فما هي الحكمة في بقائهم نائمين ولن يطلع عليهم الرسول ﷺ المطلع على كل مطلع هو مطلع لرسالته كسائر مطالعها! والهدف من هذه الآية الإلهية الإعتبار عليها ﴿وَكَذَلِكَ أَعْتَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا﴾ ولا عثور عليهم بعدهم لحد الآن، فلا حكمة في نومتهم حتى الآن ومنذ أعتروا عليهم! (١) . . ثم الآية ﴿لَوْ أَطَّلَعْتَ . . .﴾ تتحدث عن حالتهم قبل بعثهم فتنقطع إذاً ببعثهم، وأما أنهم أرجعوا إلى نفس الحالة أم ماتوا فلا دلالة هنا على أي منهما، إلا استدلالاً على موتهم بما استدللنا، والكهوف المكتشفة لحد الآن دليل واقعي على أنهم ليسوا بنائمين (٢) .

(١) في الدر المنثور عن ابن عباس قال: غزونا مع معاوية غزوة المضيق نحو الروم فمررنا بالكهف الذي فيه أصحاب الكهف الذي ذكر الله في القرآن فقال معاوية: لو كشف لنا عن هؤلاء فنظرنا إليهم فقال له ابن عباس: ليس ذلك لك قد منع الله ذلك عن من هو خير منك فقال: ﴿لَوْ أَطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُغْبًا﴾ [الكهف: ١٨] فقال معاوية: لا أنتهي حتى أعلم علمهم فبعث رجلاً فقال: اذهبوا فادخلوا الكهف، فانظروا فذهبوا فلما دخلوا الكهف بعث الله عليهم ريحاً فأخرجتهم فبلغ ذلك ابن عباس فأنشأ يحدث عنهم . . . أقول: لو كانت الرواية منسوبة إلى المعصوم لما كنا نصدقها حيث لا توافق القرآن أو تخالفه، فضلاً عن ابن عباس!

(٢) في كتاب سعد السعود لابن طاوس نقلاً عن تفسير أبي إسحاق إبراهيم بن محمد القزويني بإسناده إلى أنس بن مالك قال: أهدي لرسول الله ﷺ بساط من قرية يقال لها بهندف فقعد عليه علي وأبو بكر وعمر وعثمان والزيبر وعبد الرحمن بن عوف وسعد فقال النبي ﷺ لعلي: يا علي! قل يا ريح احمل بنا فقال علي ﷺ: يا ريح احمل بنا فحمل بهم حتى أتوا أصحاب الكهف فسلم أبو بكر وعمر فلم يردوا السلام ثم قام علي ﷺ فسلم فردوا عليه السلام فقال أبو بكر: يا علي ما بالهم ردوا عليك ولم يردوا علينا؟ فقال لهم علي ﷺ فقالوا: إنا لا نرد بعد الموت إلا على نبي أو وصي نبي ثم قال علي ﷺ: يا ريح احملنا فحملنا ثم قال: ضعينا فوضعتنا فركز برجله الأرض فتوضأ علي ﷺ وتوضأنا ثم قال: يا ريح احملينا فحملتنا فوافينا المدينة والنبي ﷺ في صلاة الغداة وهو يقرأ ﴿أَمْرٌ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾ [الكهف: ٩] فلما قضى النبي ﷺ الصلاة قال: يا علي أخبروني عن مسيركم أم تحبون أن أخبركم؟ قالوا: بل تخبرنا يا رسول الله ﷺ قال أنس بن مالك: فقص القصة كأن كان معنا. (هامش نور الثقلين ٣: ٢٤٨ - ٢٤٩).